

"الضيعات الريفية الرومانية في الشرق الجزائري، دراسة أثرية، تحليلية وتميضية"

اعداد الطالب: كمال مداد

ملخص الرسالة:

إن المؤرخين و الأثريين متفقين على أن الضيعة الريفية La Ferme هي حيز فضائي محدود المعالم أين نقوم فيه بأعمال المتعلقة بالنشاط الفلاحي و الرعوي (حيز خاص إنتاج الزيت وبتخزين وتهيئة المحصول الفلاحي للتسويق، و حيز خاص بتربية الحيوانات الاغنام والابقار)، مختلفة من حيث المفهوم من الفيلا الريفية Villa Rustica، حيث هذه الأخيرة مفهوم لنوع من السكن ريفي ظهر خلال فترة الجمهورية الرومانية، وعلى أن هذا النمط المعقد المذكور في النصوص التاريخية لكل من كاتون و بالادايوس وكوليماليوس، والذي اثبتته علم الاثار حيث لم يفرض وجوده إلا في نهاية الفترة الجمهورية الرومانية، ومن ثم سمح بفتح مجال كبير للنقاش حول تصور الضيعة الريفية ودورها الجديد.

حيث ان مصطلح فيلا (Villa) مشتق من نفس جذر مصطلح (Vicus)، وفيلا يعني إقامة أو منزل لكن استعماله عادة ما يقصد به المنازل التي بالحقول البعيدة عن المدن، أما مصطلح فيلا ريفية (Villa Rustica) فيقصد به الضيعات الريفية التي بها إقامات وبها منشآت ذات علاقة بالعمل الزراعي وعكسها فيلا حضرية (Villa urbana)، فهي على العموم الجزء من الدومان الذي به منزل مالك المزرعة.

إن هذا النوع من المستثمرات الزراعية ظهر بايطاليا خلال القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية ثم انتشر بعد ذلك في كامل أرجاء الإمبراطورية، ففي المقاطعات كانت ملكية الفيلا المحيطة بالمستعمرات ملكا لوجهاء المدينة أو قدماء الجند أو العناصر

المترومنة وكان نواب مجلس الشيوخ يسيطرون على الكثير منها، تشيد الإقامة (*Pars urbana*) في الغالب على ربوة تحيط بها أراضي متنوعة الاستغلال (*Pars Rustica*) بعضها مخصص لزراعة الزيتون والكروم وبعضها لزراعة الحبوب والخضروات والبعض الآخر حديقة بالقرب من الإقامة ، بالإضافة إلى أجزاء غابية ومراعي، كما يحرص أصحاب هذه المستثمرات على اختيار موقعها حيث يحرصون على إقامتها بالقرب من الأودية ومصادر المياه الأخرى.

و ليس من الصدفة إذ كان المهندسون الزراعيون الرومان قد شددوا على معايير اقتناء الضيعة الريفية وعلى كيفية تسييرها وهذا منذ القرن الثاني 2 ق.م، حيث وظفت توصيات كاتونو CATON كقاعدة لإعطاء قفزة كبيرة للضيعة الريفية ، وهذا لتجسيد ادوار أخرى التي وافقت النطاق الجديد الذي عرفته روما مع اتساع رقعتها في حوض المتوسط. فتمتعت هذه الضيعات بوظائف أخرى غير الوظائف المعهودة مثل الإنتاج الفلاحي، وبالتالي يمكننا أن نرى قواعد وأسس لمنشآت فلاحية هدفها هو رقابة الفضاء و الإنسان. وتعرف الضيعة الريفية بأنها أداة عمل للفلاح ومكان إقامته في نفس الوقت ،حيث يخزن فيها محصوله ويحفظ فيها حيواناته وعتاده. و تضم عموما على ثلاثة فضاءات، الأول للإنسان والثاني للحيوان والثالث للمحصول الفلاحي، فتكون هذه الوظائف سواء مجمعة في بناية واحدة أو على شكل بنايات يسهل التمييز بينها أي بين مكان العمل ومكان الإقامة، مما يساعد على معرفة مراحل تطور الضيعة وبالتالي دورها الاقتصادي من خلال تخصص هذه الفضاءات او البنائيات إن صح التعبير.

ولشح الدراسات الميدانية حول الضيعات الرومانية في شمال افريقيا عموما والجزائر خصوصا ، تم اختيارنا لهذا الموضوع كمحاولة لقراءة جيدة للضيعة الريفية الرومانية كهيكل من الهياكل الفلاحية ، فإننا نقترح دراسة تحليلية مقارنة لضيعات ريفية مازالت بناياتها في حالة حفظ جيدة نوعا ما ، حيث تعتبر هذه الضيعات كنوع من أنواع المستثمرات الفلاحية التي تجسد اتجاه موجه أكثر حسب رأينا نحو البحث عن المنفعة

الاقتصادية. ولتحقيق هذا الهدف المنشود لابد أن نطرح على أنفسنا عدة أسئلة ومنها ما يخص مسألة تمييز هذه الضيعات و دورها في تنظيم المكان وعن قدرتها على الإجابة للمتطلبات التي فرضها عليها منطق السوق ، وهذا يتطلب معرفة قدرتها الإنتاجية الافتراضية من المحصول الزراعي؟ ، حساب مع وضع سلسلة من الفرضيات على القدرة الإنتاجية لمعاصر الزيت إن وجدت؟ وكذا ما هو المشهد القديم المحتمل للمجال المدروس.